آفات الداعية

سعيد بن محمد آل ثابت

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آفات الداعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

من أراد أن يعلم منزلته من الله فلينظر فيما استعمله الله فيه، وخير ما يستعمل الله فيه الإنسان هو أن يكون داعيا إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿وَمَن أَحسَنُ قَولًا مِمَّن دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحًا وَقالَ إِنَّني مِنَ المُسلِمينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وعلى حسب مكانه من الدعوة يكن مكانه عند ربه، ولأهمية هذا الشأن وقد تعرضنا لشيء منه في مبحث فريضة الفاعلية، فيستحسن الحديث عن آفات الداعية وذلك لما نُشاهد من صرعى في طريق الدعوة ذبحوا أنفسهم بسكين الجهل أو مُدية الاستعجال أو بندقية سوء تقدير العواقب، ولذا كانت هذه الورقة وأرجو الله جل وعلا أن يجعلها خالصة لوجهه هادية لكاتبها وقارئها، والله الموفق.

ليتني كنت فيها جذعاً:

قبل أن أدلف إلى الموضوع، نتأمل قليلاً فيما صدح به ورقة بن نوفل في حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إبان نزول جبريل، في الحديث عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (...فانْطَلَقَتْ بِهِ خديجةُ حتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ، وهوَ ابنُ عمِّ خديجَةَ أَخِي أبيهَا، وكانَ امرأً تَنَصَّرَ في الجاهِلِيَّةِ، وكانَ يكْتُبُ الكتابَ العربيَّ، ويكتُبُ من الإنجيلِ بالعربيةِ ما شاءَ اللهُ أن يكتُبَ، وكانَ شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ، فقالتْ خديجةُ: يا ابنَ عَمِّ، اسمَعْ من ابْنِ أخِيكَ، قالَ ورَقَةُ: يا ابنَ أخِي، ماذا تَرَى؟ فأَخْبَرهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ خَبَرَ ما رأَى، فقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنزِلَ على موسَى، لَيْتَنِي فيهَا جذَعًا، ليتَنِي أكُونُ حيًّا، ذَكَرَ حَرفًا، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: (أوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ). قالَ وَرَقَةُ: نَعمْ، لم يأتِ رجلٌ بمَا جِئْتَ بهِ إلا أُوذِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَومُكَ حيًا أنْصُرُكَ نصرًا مُؤَزَّرًا. ثمَّ لم يَنْشَبْ ورقةُ أنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوحْيُ فَتْرَةً، حتى حَزِنَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ). رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري. وبعد التأمل والنظر نجد أن ورقة تمنى العودة إلى الوراء ليكون شابا يافعا ينصر دين الله، ويستثمر ويوظف كل ما اوتي من قوة وحيوية ونشاط في دين الله، وهذا الأمر الأول، وأما الثاني وهو أكثر عمقا وهو أنه تمنى ذلك مع معرفته بحصول الأذى والإخراج والبلاء، فكيف يا ترى أدرك ذلك وتمنى أن يكون جذعا؟ وما هذا إلا لمعرفته بسنن الله، وحين ننظر إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أيقنا بهذا الواقع، فلم يخرجوا من قوى بشرية ومناصب أو وجاهات وأموال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبرلمانات، بل شُردوا وأبتلوا وأخرجوا وقتلوا، وأكثر الناس بلاء هم الأنبياء، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ اللهِ أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً قالَ: "الأَنبياءُ ثمَّ الأَمثلُ فالأَمثلُ ؛ يُبتلَى الرَّجلُ علَى حسَبِ دينِهِ، فإن كانَ في دينِهِ صلبًا اشتدَّ بلاؤُهُ، وإن كانَ في دينِهِ رقَّةٌ ابتليَ علَى قدرِ دينِهِ، فما يبرحُ البلاءُ بالعبدِ حتَّى يترُكَهُ يمشي علَى الأرضِ وما علَيهِ خطيئةٌ" رواه الترمذي وقال حسن صحيح، لذا على الداعية أن يوطن نفسه على البلاء والامتحان ولا يكن متعجلا، ملولا، جزعا، فطريق التمكين يحتاج إلى صبر ومصابرة.

الآفات:

معنى الآفات: جمع آفة، الآفَةُ: كلُّ ما يصيب شيئاً فيفسده، من عاهة أَو مَرَض أَو قحط، يقال: آفة العلم النسيان[1]. وآفات الداعية: تلك المهلكات التي تفسد وتقطع على الداعية دعوته.

لماذا الحديث عنها؟

١- منهج شرعي وذلك حين يتحدث العبد عن ما يخشاه أو يصف ظاهراً يريد من خلاله التحذير والإنذار فلا شك أن جزءا من الوحي كان كذلك، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "كان الناسُ يَسألونَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عنِ الخيرِ، وكنتُ أسأَلُه عنِ الشرِّ، مَخافَةَ أن يُدرِكَني، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعمْ). قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: (نعمْ، وفيه دَخَنٌ). قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: (قومٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَديي، تَعرِفُ منهم وتُنكِرُ). قلتُ: فهل بعدَ ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: (نعمْ، دُعاةٌ على أبوابِ جَهَنَّمَ، مَن أجابهم إليها قَذَفوه فيها). قلتُ: يا رسولَ اللهِ صِفْهم لنا، قال: (هم من جِلدَتِنا، ويتكَلَّمونَ بألسنَتِنا). قلتُ: فما تأمُرُني إن أدرَكني ذلك؟ قال: (تَلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم). قلتُ: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: (فاعتَزِلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ، حتى يُدرِكَك الموتُ وأنت على ذلك)" رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري، فمن سلم فهو على ديدن حذيفة ومن كان واقعا فهو إلى التوجيه الرباني أحوج.

٢- زيادة مظاهر الانكسار والفتور والوهن وانقطاع الداعية عن الطريق أو ضعفه، وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى

---

[1] المعجم الوسيط

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السَّيل، ولينزعنَّ الله مِن صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوَهَن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوَهْن؟ قال: حبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت" رواه أبو داود وأحمد، وحين البحث عن الأسباب كان يُستطاع تلافيها لو كان ثمة إدراك وفقه أو سعة فهم، كضعف الإيمان وقلة الصبر والمبالغة في الخوف والاستعجال وإهمال مقومات النجاح والبيئة، وغير ذلك مما سوف نتعرض له في هذه الورقة.

أقسام الآفات:

أولاً: من حيث النفس وهي على أربعة أقسام:

١. ما يتعلق بالعبودية:

- إهمال أعمال القلوب والقربات: والعبرة في ذلك بفعل المأمورات وترك المحذورات، وكلما كان الإنسان بالله أعرف كان منه أخوف وإليه أقرب، ولذا من كان كلامه يخالف فعله فإنما يوبخ نفسه كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، لذا ينبغي على الداعية أن يكون في عداد أولياء الله عباد الرحمن ويتتبع خصالهم وصفاتهم ويكن قابض العروة الوثقى التي تتصل بالسماء، فلا تكن المعية إلا مع واصل متصل.
- الشهوة الخفية: من أخطر ما يتسرب للنفس طلب الشرف بالأمور الدينية كالعلم والعمل الصالح والزهد والدعوة إلى الله، فيطلب بها الشرف أو المال، وفي الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة" رواه أبو داود بإسناد صحيح، أو يريد صرف النظر إليه والعلو على غيره، وفي الحديث عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " مَن طلبَ العِلمَ ليُجاريَ بهِ العلَماءَ أو ليُماريَ بهِ السُّفَهاءَ أو يصرِفَ بهِ وجوهَ النَّاسِ إليهِ أدخلَهُ اللَّهُ النَّارَ" رواه الترمذي وصححه الألباني، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " أنَّ اللَّهَ تبارَك وتعالى إذا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينَهم وَكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ فأوَّلُ من يدعو بِه رجلٌ جمعَ القرآنَ ورجلٌ يقتَتِلُ في سبيلِ اللهِ ورجلٌ كثيرُ المالِ فيقولُ اللَّهُ للقارئِ ألم أعلِّمْكَ ما أنزلتُ علَى رسولي قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عملتَ فيما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عُلِّمتَ قالَ كنتُ أقومُ به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ فيقولُ اللَّهُ لَه كذَبتَ وتقولُ الملائِكةُ كذَبتَ ويقولُ له اللَّهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ قارئٌ فقد قيلَ ذلكَ ويؤتى بصاحبِ المالِ فيقولُ اللَّهُ ألم أوسِّعْ عليكَ حتَّى لم أدعْكَ تحتاجُ إلى أحدٍ قالَ بلى يا ربِّ قالَ فماذا عمِلتَ فيما آتيتُك قالَ كنتُ أصلُ الرَّحمَ وأتصدَّقُ فيقولُ اللَّهُ لَه كذَبتَ وتقولُ الملائِكةُ لَه كذَبتَ ويقولُ اللَّهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جَوادٌ وقد قيلَ ذلكَ ويُؤتى بالَّذي قُتلَ في سبيلِ اللهِ فيقولُ اللَّهُ لَه في ماذا قُتلتَ فيقولُ أُمِرتُ بالجِهادِ في سبيلِك فقاتلتُ حتَّى قُتلتُ فيقولُ اللَّهُ لَه كذبتَ وتقولُ لَه الملائِكةُ كذبتَ ويقولُ اللَّهُ بل أردتَ أن يقالَ فلانٌ جريءٌ فقد قيلَ ذلكَ ثمَّ ضربَ رسولُ اللهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ علَى رُكبتي فقالَ يا أبا هريرةَ أولئِك الثَّلاثةُ أوَّلُ خلقِ اللهِ تُسعَّرُ بِهمُ النَّارُ يومَ القيامةِ" رواه الترمذي وصححه الألباني، ولهذا كره السلف الدخول على الأمراء والسلاطين والتصدر للفتيا، وأن يعرفوا بالزهد، وما هذا إلا لإدراكهم خطورة هذه الذئاب الجائعة، عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ، لدِينه" رواه الترمذي، فأصل محبة المال والشرف من حب الدنيا، وأصل حب الدنيا اتباع الهوى، لذا قال الله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغى* وَآثَرَ الحَياةَ الدُّنيا * فَإِنَّ الجَحيمَ هِيَ المَأوى * وَأَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفسَ عَنِ الهَوى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأوى﴾ [النازعات: ٣٧-٤١]، وفي النفس رغبة في العلو والرفعة وهذا منشأ الكبر والحسد، لكن كما قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة. وصدق الله ﴿ وَفي ذلِكَ فَليَتَنافَسِ المُتَنافِسونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، ومن اشتغل بمنزلته عند الله اشتغل به عما سواه ووصل إلى الله، وسيعطيه الله المنزلة في قلوب الخلق ﴿إِنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، لكن يتق الله لله وليس للخلق، عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ ". رواه ابن ماجه والطبراني في الكبير، وصححه الألباني في السلسلة وصحيح الترغيب.

- سلامة الصدر: لا ينشط في الدعوة كليل النفس، مريض الإيمان، حاسد الإخوان، بل أشد من تجد في سبيل الدعوة عاملاً صابراً محتسباً لن تجده إلا سليم النفس صحيح النظر لإخوانه، متغافلاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن هفواتهم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قيل لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ أيُّ الناسِ أفضلُ قال: "كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ" قالوا صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ قال: "هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ" رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

- الخوف: قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيطانُ يُخَوِّفُ أَولِياءَهُ فَلا تَخافوهُم وَخافونِ إِن كُنتُم مُؤمِنينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، الخوف من آثار العمل وتضخيم العواقب الوخيمة أصله انهزام وخور وعادة ما يترنم أصحابه بدرء المفاسد وهو في الحقيقة وهن وسوء بصيرة.
- الاعتداد بالذات، (يقابلها التواضع ولين الجانب وقبول الحق من أي أحد)، يقول يحيى بن معين: "مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، صَحِبْنَاهُ خَمْسِينَ سَنَةً، مَا افْتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصَّلاحِ وَالْخَيْرِ "[٢]. وتأمل قول الحق: ﴿وَاخفِض جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، فلا يرى العبد لنفسه على مخلوق أي حق، وسيجد أثر ذلك في عطائه.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الجو وهو رفيع

ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

- المنّ والاستكثار. يقطع الداعية عن عطائه إذا شرع في إحصاء حسناته وثمراته، قال الله: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر:٥]، لا تمن فتستكثر فتنقطع!

٢. ما يتعلق العلم الشرعي:

- ضعف التأصيل، والذي يقتضي كوارث منهجية منها الفهم الخاطئ للنصوص. ومثل ذلك تفسير قول الله ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا عَلَيكُم أَنفُسَكُم لا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهتَدَيتُم إِلَى اللَّهِ مَرجِعُكُم جَميعًا فَيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، قال ابن كثير: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا زهير – يعني ابن معاوية – حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، حدثنا قيس قال: قام أبو بكر، – رضي الله عنه –، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن الناس إذا رأوا المنكر

---

[٢] "حلية الأولياء"؛ لأبي نعيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يغيرونه أوشك الله، عز وجل، أن يعمهم بعقابه ". قال: وسمعت أبا بكر يقول: يا أيها الناس، إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب الإيمان.

وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه، وغيرهم من طرق كثيرة عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد، به متصلاً مرفوعاً، ومنهم من رواه عنه به موقوفا على الصديق وقد رجح رفعه الدار قطني وغيره وذكرنا طرقه والكلام عليه مطولا في مسند الصديق، – رضي الله عنه.[٣]

ومثال آخر في قوله تعالى ﴿وَأَنفِقوا في سَبيلِ اللَّهِ وَلا تُلقوا بِأَيديكُم إِلَى التَّهلُكَةِ وَأَحسِنوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُحسِنينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، روى الترمذي وغيره وصححه عن ابن عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر... فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة؟ فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية هذا التأويل! وإنما أنزلت هذ الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها... فأنزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا: "وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ... "الآية. وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

قال ابن عباس: "وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" قال: ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله.

فتأمل كيف لداعية لم ينشأ في حلق الذكر ولم يحن صلبه في مجالس العلم أن يباشر الدعوة والعطاء دون حد أدنى في العلم الشرعي، لا سيما وهو يدعو إلى الجنة، وهو طريق يلزمه أحكام ومعرفة وفقه.

- العزلة الخاطئة: في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمنُ الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظمُ أجرًا منَ المؤمنِ الَّذي لاَ يخالطُ النَّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم" رواه ابن ماجه وصححه الألباني، قال ابن مسعود لِمن خرجوا عن قومهم

---

[٣] تفسير ابن كثير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متعبدين: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟ قَالُوا: أَحْبَبْنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ غِمَارِ النَّاسِ نَتَعَبَّدُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ النَّاسَ فَعَلُوا مِثْلَ مَا فَعَلْتُمْ، فَمَنْ كَانَ يُقَاتِلُ الْعَدُوَّ؟ وَمَا أَنَا بِبَارِحٍ حَتَّى تَرْجِعُوا"[٤].

- النقد والتجريح، لا سيما إن كان يقع فيمن كانوا في سُدة العمل والبناء، وعادة ما يبتلى بها القاعد بلا شك فلو كان له علم لرفعه، وحده من الحرمات، ولو كان له مروءة لكف لسانه عنهم، ولو كان له دين لخشي الله فيهم، قال الأوزاعي: (المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً).
- فقه الثوابت والمتغيرات والنوازل، ومما يخص العلم الشرعي هذا الفرع المهم، أن يعي الداعية مهمته والممكن في دائرته وفقه الأولويات، وحاجة الناس، وكيف يتعامل مع النوازل؛ لأن تغير الزمان والمكان والحال من سنن الله، فلا يصادمها بالجمود والقناعات الخاطئة، بل هو مطالب بالعمل وفق قدرته وحاله وعلمه، ويتدرج في ذلك، ولو كان رجلاً في هذه الأمة يستحق أن يعجل الله بنتائجه وثمراته في دعوته دون أدنى نصب أو جهد لكان رسول الله، ومع ذلك عاش في دعوته ثلاث وعشرين سنة كانت نموذجاً للداعية الفقيه، عاش في مكة بين دعوة سرية وجهرية، وكيف أذن لقوم بالهجرة للحبشة، ومن ثم المدينة بين جهاد دفع وطلب، وتعامل مع شتى الأصناف من منافقين وذميين ووفود، لينبئنا أن من أجلّ متطلبات الداعية أن يستوعب في دعوته هذه القضايا ليستوعب جملة الناس في خيريته.

٣. ما يتعلق بالذات:

- الانهزام النفسي، ومن ذلك الشعور بالقصور أو وهم الاعتداد بالمؤهلات أو الأعمار، وتأمل قول الحق: ﴿يا يَحيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيناهُ الحُكمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، وحديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: "أتينا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ونحن شبَبَةٌ متقارِبونَ، فأقَمْنا عِندَه عشرينَ ليلةً، وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟فيقًا، فلما ظنَّ أنا قد اشتَهَينا أهلَنا، أو قد اشتَقنا، سألَنا عمَّن تركْنا بعدَنا فأخبرناه، قال: (ارجِعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلِّموهم ومُروهم). وذكَر أشياءَ أحفظُها أو لا أحفظُها: (وصلُّوا كما رأيتُموني أصلِّي، فإذا حضَرتِ الصلاةُ فليؤذِّنْ لكم أحدُكم، وليؤمَّكم أكبرُكم) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري،

---

[٤] "الزهد"؛ لابن المبارك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاهد أنهم كانوا شبيبة صبية وأوتوا فهوماً وزكاء وقد أمرهم بتعليم قومهم، وهؤلاء فتية الكهف ذكرهم لم يمت، فقد حملوا هم دينهم فأثبت الله ذلك لهم.

- الفوضوية في الوقت والذات، وعادة ما تجعل صاحبها محبط الهمة، قاصر العطاء، كثير التسخط على نفسه وقدراته، ومن ثم ينقطع اعتقاداً أن ذلك ينفعه، والأمر كله كان في ورقة وقلم ويجلس بجدية مع نفسه ويرسم خطته بشكل واقعي طموح ثم يستشير فيها، ويسير الهوينى دون انقطاع، فالأصل الاستمرارية. ومن آثار الفوضوية حصول التشتت والتلون حسب (موضة) العصر الدعوية، فتجده كثير الركوب للموجات حسب المكان والزمان، فمرة خطيباً مفوهاً، ومرة كاتباً، ومرة روائياً، ومرة في العمل الإغاثي، ومرة يصدح بـــ(الأقربون أولى بالمعروف)، وهكذا تتخطفه كلاليب الفوضوية فيقع في مهاوي الهوى، فيصبح كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، والعبرة أن يعرف بصمته المؤثرة فهي ميزته على غيره، وهي حاجة أمته له، فيكون لقناً فطنا حاذقاً فيها، ولو اجتمعت له عدة خصال لما ضره ذلك، لكن أن تبقى تلك الميزة واضحة لا باهتة، ولا يحظى بهذا فوضوي مشتت!
- الحساسية الزائدة من النقد والتقويم، قال عمر: رحم الله امرئ أهدى إلينا عيوبنا، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعَتَه، ويَحوطُه من ورائِه" رواه أبو داود وصححه الألباني، وهنا بعض التأملات في الحديث عن هذا التشبيه البليغ، كيف يكون المؤمن مرآة لأخيه:

١. إظهار الصورة الحقيقة بلا غبش أو تهويل.
٢. عدم الاحتفاظ بالصورة القديمة.
٣. عدم الظهور إلا حين الطلوع على المرآة (حفظ الغيبة).
٤. ميلان الصورة له تأثير سلبي على ظهور الصورة (صفاء القلوب).
٥. المرآة حيث تضعها (ضع أخاك فيما تحب أن يضعك).
٦. المرآة تظهر صورتك حسب اهتمامك بنصاعتها وحالها.
٧. كل ما زادت المرآة نضارة ونظافة وجودة كلما كانت صورتك أوضح.
٨. عدم تجملك أمام المرآة يفقدك شيئا من بهائك.
٩. كلما كنت قريبا من المرآة استطعت تفقد معايبك وإصلاحها، ومعرفة مزاياك فتعتني بها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠. إذا خُدشت المرآة عيب نصوعها، وبار بريقها، وإن كسرت فمن المحال إصلاحها.

١١. يبقى أجزاء المرآة بعد انكسارها أسنان خطيرة تقطع الوتين، وتشوه الصورة.

- الاتكالية وعدم المسؤولية، ومن مظاهرها التخاذل والتخذيل والتهوين والتهويل والتواضع الكاذب، وكل ذلك منشأه خلل في الذات وقصور في الفهم.

٤. ما يتعلق بفهم الواقع والسنن:

- استعجال أو استبطاء النتائج، ومن ثم الملل والضجر من الطريق، تأمل قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ فَلَبِثَ فيهِم أَلفَ سَنَةٍ إِلّا خَمسينَ عامًا فَأَخَذَهُمُ الطّوفانُ وَهُم ظالِمونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فقارن نوحاً عليه السلام مع جهدنا، دعا قومه ليلاً ونهاراً سراً وعلانية ومع ذلك كان أتباعه قليل والثمرة ضامرة ولكن لم تفتّ في عزيمته. فكيف بنا إذاً؟! إن وعد الله بالتمكين لا يتخلف لكن لا يتحقق أبدا على أيدي أقوام لا يستحقونه ولا يفهمون سننه ولا يضحون من أجله.
- انتظار اجتماع الأمة، وانتظار هزيمة القوى المعادية، وهذا من التفاؤل المذموم القاضي بالقعود، والحق أن يساهم في النصر، ولو تبين له هزيمة العدو فلا يفرح إلا إن كان مساهماً في ذلك النصر، فقد يكون لإخفاق عندهم يعاودوا النفس بعده بأكثر حموة وجهد.
- ينتظر من يفسح له، ويتيح له المجال، ولا شك في سوء هذا التفكير، فلو بقي كل داعية ينتظر الآخر ينادي عليه لانكفأت الدعوة على نفسه، وبات كل مشغول في خاصة نفسه. قال إبراهيم الحربي: يقول الناس: أحمد بن حنبل بالتوهُم، والله ما أجد لأحد من التابعين عليه مزية، ولا أعرف أحدا يقدر قدره، ولا يعرف من الإسلام محله، ولقد صحبته عشرين سنة صيفا وشتاء، وحرا وبردا، وليلا ونهارا، فما لقيته لقاة في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس، ولقد كان يقدم أئمة العلماء من كل بلد، وإمام كل مصر، فهم بجلالتهم ما دام الرجل منهم خارجا من المسجد، فإذا دخل المسجد صار غلاما متعلما[٥]. فتأمل كيف هذا الإمام يزيد يوماً بعد يوم بحياة كلها عطاء وعلم وتعلم.

---

[٥] "المبدع في شرح المقنع"؛ لأبي إسحاق الحنبلي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- تأطير المكان، قال ابن تيمية: (ولهذا كان أفضل الأرض في حقِّ كلِّ إنسان أرضٌ يكون فيها أطوعَ لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعيَّن أرضٌ يكون مقام الإنسان فيها أفضل، وإنَّما يكون الأفضل في حقِّ كُلِّ إنسان بحسب التَّقوى والطاعة والخشوع والحضور، وقد كتب أبو الدَّرداء إلى سَلْمان: هَلُمَّ إلى الأرض المقدَّسة! فكتب إليه سلمان: إنَّ الأرض لا تقدِّس أحدًا، إنما يقدِّس العبْدَ عمَلُه، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قد آخى بين سَلْمان وأبي الدَّرداء، وكان سلمان أفْقَه من أبي الدرداء في أشياء من جُمْلتها هذا)[٦]. ولذا ينبغي على الداعية إن توقفت دعوته في مكان أن لا يقف حائرا مستسلم، فهذا رسول الله هاجر إلى المدينة وقبل ذلك أمر بعض اصحابه بالهجرة إلى الحبشة، قال الله: ﴿وَمَن يُهاجِر فِي سَبيلِ اللَّهِ يَجِد فِي الأَرضِ مُراغَمًا كَثيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخرُج مِن بَيتِهِ مُهاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ يُدرِكهُ المَوتُ فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكانَ اللَّهُ غَفورًا رَحيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].
- ادعاء الغربة، وعادة من استغرب وادعى أنه أصلح الناس وقد فسدوا فإما أن يحتقرهم ويعتد بنفسه وربما سار مسار العنف والاستعجال، أو توقف وفتر. قال الحق سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا مَن يَرتَدَّ مِنكُم عَن دينِهِ فَسَوفَ يَأتِي اللَّهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرينَ يُجاهِدونَ في سَبيلِ اللَّهِ وَلا يَخافونَ لَومَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ وَاللَّهُ واسِعٌ عَليمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].
- تخصيص الدعوة لفئة من الناس، وهذا خطر جسيم يقطع الداعية عن الوصول لبقية الناس، والذين ربما كانوا أولى من غيرهم، فربنا جل وعلا عاتب رسوله في ابن أم مكتوم ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جاءَهُ الأَعْمَى﴾ [عبس: ١-٢]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يومَ القيامةِ، لا يزنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ. وقال: اقرؤوا إن شئتم: { فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا }" رواه البخاري، فتأمل كيف عظم في الدنيا وحقر في الآخرة، وعن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى. قال صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: كل ضعيف متضعف. لو أقسم على الله لأبره. ثم قال: ألا أخبركم بأهل النار؟ قالوا بلى. قال: كل عتل جواظ مستكبر. وفي رواية: بمثله. غير أنه قال ألا أدلكم" رواه البخاري ومسلم واللفظ

---

[٦] مجموع الفتاوى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمسلم، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٌ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال لرجلٍ عِندَه جالسٌ: (ما رأيُك في هذا). فقال: (رجلٌ من أشرافِ الناسِ، هذا واللهِ حريٌّ إن خطَب أن يُنكَحَ، وإن شفَع أن يُشَفَّعَ، قال: فسكَت رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ثم مرَّ رجلٌ، فقال له رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (ما رأيُك في هذا). فقال: يا رسولَ اللهِ، هذا رجلٌ من فُقَراءِ المسلمينَ، هذا حَرِيٌّ إن خطَب أن لا يُنكَحَ، وإن شفَع أن لا يُشَفَّعَ، وإن قال أن لا يُسمَعَ لقولِه، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: (هذا خيرٌ من مِلءِ الأرضِ مثلِ هذا)" رواه البخاري، فمن تأمل النصوص أيقن بأن الدعوة ليس حصراً على فئة أو بيئة أو نموذج، فأهل الجنة مختلفون في أجناسهم وأحوالهم.

ثانياً: من حيث البيئة وهي على ثلاثة أنواع:

١. الأسرة والرحم: قال الله تعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا إِنَّ مِن أَزواجِكُم وَأَولادِكُم عَدُوًّا لَكُم فَاحذَروهُم وَإِن تَعفوا وَتَصفَحوا وَتَغفِروا فَإِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ * إِنَّما أَموالُكُم وَأَولادُكُم فِتنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجرٌ عَظيمٌ﴾ [التغابن: ١٤-١٥]، ولكن لا يلزم فسقهم، وإنما قد تكن استمالتهم وادعاء المسؤولية لترك الدعوة عين الفتنة، وفي الحديث عن يعلى العامري رضي الله عنه قال: جاءَ الحسَنُ والحسينُ يَسعيانِ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ فضمَّهما إليه وقال إنَّ الولدَ مَبخلةٌ مَجبنةٌ. رواه الألباني في صحيح ابن ماجه، ويقول مالك بن دينار رحمه الله: "بِقَدْرِ مَا تَحْزَنُ لِلدُّنْيَا فَكَذَلِكَ يَخْرُجُ هَمُّ الآخِرَةِ مِنْ قَلْبِكَ، وَبِقَدْرِ مَا تَحْزَنُ لِلآخِرَةِ فَكَذَلِكَ يَخْرُجُ هَمُّ الدُّنْيَا مِنْ قَلْبِكَ"[٧].

٢. بيئة التربية (المحضن التربوي)، فمن الأخطاء التربوية التي يتلقاها المتربي بطريق مباشر وغير مباشر، وتقضي ربما على عطائه:

- ضعف التربية على اليقين والصبر والتحمل.
- سوء الإعداد العلمي.
- هشاشة القدوة.
- التوظيف الخاطئ للمتربي، أو التأخير في التوظيف أحيانا بادعاء التعجل بالتصدر.

---

[٧] "الزهد"؛ لابن أبي الدنيا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- خلق التنافس المذموم.

٣. البيئة المحلية (المجتمع)، ومن مظاهر البيئة القاتلة أو المحطمة:

- سيادة الباطل وتفشي المنكرات.
- التهافت على الشهوات والمال والدنيا.
- التضييق على الحق وأهله.

لذا فإن الله يوصي نبيه والدعاة من بعده: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَياةِ الدُّنيا وَلا تُطِع مَن أَغفَلنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، ولذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوَّك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين؛ فإنَّ الأمين من القوم لا يعادله شيءٌ، ولا تُصاحب الفاجر فيعلِّمك من فجوره، ولا تفش إليه سرَّك، واستشر في أمرك الذي يخشون الله"[٨]. وفي الحديث رواه أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما من ثلاثةٍ في قَريةٍ ولا بَدوٍ لا تقامُ فيهمُ الصَّلاةُ إلَّا قدِ استَحوذَ عليهمُ الشَّيطانُ فعليكَ بالجماعةِ فإنَّما يأكلُ الذِّئبُ القاصيةَ" رواه أبو داود وصححه الألباني. لذا عيش الداعية في بيئة تحفزه وتشجعه مطلب، ولكن ليس لازماً وإلا ما سمعنا بالبلاء في حياة الرسل والدعاة الصادقين.

طوق النجاة:

١. تربية الذات عبر تغذية حاجات التربية الأساسية: العلم والعبادة وفهم الواقع وتحتاج لبذل وتضحية وجهد، فالتضحيات لا تتحملها سوى النفوس المعدة، والثقل المحمول يطرد مع قوة البناء، وضعف التأصيل تأصيل للضعف، وقيمة المرء فيما يطلب لا فيما يحسن.

٢. الحذر من الاستعجال وإحداث الفوضى، فيحسن إعمال التفكر والتأمل في فهم سنن الله والتمكين في الأرض، والعمل على التخطيط والتوازن في البناء والعطاء.

---

[٨] "الزهد"؛ لأبي داود.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣. إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فالعمل في البيئات الصالحة المصلحة المتفائلة كفيلة بإذن الله بتصحيح المسار وتبني القدرات وتوظيفها التوظيف الصحيح.

٤. توطين النفس على كل ما قد يعرض للمؤمن من فتن تصده أو ترده أو تظله.

٥. فقه مثلث الدافعية والعطاء وهو: أن يجمع بين ميوله واتجاهه مع حاجة البيئة مع القدرة على الإبداع، وإضافة الجديد، فهذه الثلاثة الميول والحاجه والإبداع متى ما اجتمعت كانت محطة كفيلة بتعبئة الدافعية بشكل دائم غير منقطع.

وكتبه سعيد محمد آل ثابت